الفصل الأوّل

فترة الاستعداد
وقيام ثورة أيلول ١٩٦١

بمعرفتي بالبديهة بأن عقارب ساعة التاريخ لاتعود الى الوراء، لا أريد أن أكتم عن القاريء أمنيةً كانت تساورني وهي ضرب من خيالٍ محض إلاّ أنّها في الحقيقة تعبير عن مشاعر وأحاسيس لا أجدُني أقوى على كتمانها. كنت في قرارة ضميري أتمنى أن لاتنشب ثورة أيلول في عهد عبدالكريم قاسم. وأنه اذا قُدّر لها أن تنشب فلتكن قبل عهده أو بعده. ولربّما عذرني القاريء عن خيالي هذا حين يدرك أنه نابعٌ عن الإحساس بالفضل العظيم الذي ندين به لهذه الشخصية التاريخية وأنا أقصد الشعب الكُردي عموماً، والعشيرة البارزانية بنوعٍ خاص. فالثورة التي قادها في الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ كانت سبباً لتحرير مولانا الشيخ أحمد من السجن بعد قضائه أحد عشر عاماً فيه وكان المجلس العرفيّ العسكري في أعقاب ثورة بارزان سنة ١٩٤٥ قد حكم عليه بالإعدام. ورغم توصية المجلس بإبدال الحكم -وفق القانون- الى الحبس المؤبّد ظلت القضية معلّقة. جرى إيداعه السجن كما هو معروف بعد عودته من إيران الى العراق. كما كان حكم الإعدام قد صدر غيابياً بحق ملا مصطفى البارزاني وعدد من رفاقه وهو في الإتحاد السوفييتي. فتمّ إلغاء الحكم وإبطاله في أعقاب ثورة ١٤ تموز وعاد ملا مصطفى البارزاني ورفاقه من أرض المنفى وأستقبلوا إستقبال الأبطال الأحرار ولقوا كل حفاوة من النظام الجديد.

وبإصرار من عبدالكريم قاسم، تمّ وضع المادة الثالثة من الدستور المؤقت الصادر في ٢٧ تموز التي أقرّت ولأول مرة في تاريخ الدولة العراقية بل في تاريخ كردستان بشراكة العرب والكُرد في الوطن الواحد.

إلاّ أن العلاقات بين عبدالكريم قاسم وبين الحزب الديمقراطي الكُردستاني منذ العام ١٩٦١ أخذت تسوء بإطّراد - وبنوع أخصّ بعد عودة البارزاني من موسكو الى بغداد في كانون الثاني ١٩٦١، وقد زاد شكه فيه وكان ثَمَّ جفوةٌ. وسارع البارزاني إثر عودته ينشد لقاءً بقاسم الاّ ان قاسماً تعمّد الإغفال والتلكؤ ولم يستجب فوراً. ومرت فترة طويلة. ثمّ جرت المقابلة في شهر شباط. حاول البارزاني في هذا اللقاء تبديد شكوك قاسم وإقناعَه بان ظنونه تلك لا أساس لها وأنّه هو والپارتي لايضمران أيّ سوءٍ مستخدماً شتىّ وسائل الإقناع والبراهين دون نتيجة. وعندها إرتأى أن يغادر العاصمة الى بارزان لفترة. كان ذلك في شهر آذار.

في خلال زيارة موسكو شرح البارزاني لسادة الكرملين والمسؤولين الأوضاع العراقية المتأزمة بصورة عامة، وأوضاع كردستان بنوع خاص. وعن إحتمال قيام إنتفاضة (إنقلاب) ضد نظام قاسم. كما ناشدهم مدّ يد العون للشعب الكُردي في جميع النواحي. وقد أخذ عهداً بذلك منهم ومما وعدوا به مبدئياً إرسال أعتدة وأسلحة كافية بالطائرات وإنزالها في موضع يعيّنه البارزاني. وتم الإتفاق على ان يكون (دولهوري) وهو وادٍ يقع وراء جبل شيرين، شمال بارزان وجنوب قرية سيلكي. الاّ ان التنفيذ لم يتمّ لأسباب سياسية وفنية. واعتاضوا بإجراءٍ آخر هو تخصيص مبلغ كافٍ لشراء السلاح والعتاد من مصادر أخرى في منطقة كردستان عن طريق مهربي الأسلحة الدوليين. وما ان استقر المقام بالبارزاني في بارزان حتى قام بإعداد برنامج منتظم لشراء السلاح. وكانت السفارة السوڤياتية همزة الوصل بين البارزاني وموسكو. وعن طريقها كانت ترد المبالغ المرصدة ويتم إيصالها الى بارزان. والمسؤول المباشر في هذه الصفقة هو السكرتير الأول في السفارة المدعو (ناسكوف). امّا المكلف بتسلم المبالغ المخصصة وشراء الأسلحة وإرسالها الى بارزان فكان الشهيد (حميد كاواني) وقد قام بذلك بمعاونة رسول فقي گروتَيي وفرع الپارتي في أربيل - لاسيّما خلايا الحزب في سلك الشرطة حيث كانت تشكيلات الپارتي ضمن مراتب الشرطة بدرجة عالية من القوة والتنظيم والتفاني الحزبي. على أنهم لم ينفردوا بالمهمة فقد كانت هناك جهات أخرى حزبية تشاركهم. كان معظم السلاح من طراز چيكي وإنگليزي من النوع الذي أُستُخدم في الحرب العالمية الثانية. الاّ انه كان بحالة جيدة وصالحة. وقد تمّ شراء زهاء ثلاثة آلاف

قطعة بين شهري أيار وأيلول ١٩٦١، تمّ توزيعها تدريجاً حال وصولها وراحت منظمات الحزب تهيّء جماهير الشعب الكُردي على جميع المستويات - توقُّعاً لكلّ ما سيأتي به المستقبل على غير إنتظار وفي عين الوقت بدأت السلطات تلاحق أعضاء الحزب ثم صدر قرار من الحاكم العسكري بإلغاء إجازة جريدة الحزب (خهبات) ووضع اليد على موجودات مقرّ الحزب، وصدرت أوامر بإلقاء القبض على أعضائه وزجهم في السجن فإختفى بعضهم ونجا ونجح آخرون في الوصول الى كردستان.

إجتماع للجنة المركزية

في نهاية شهر حزيران ١٩٦١ عُقد إجتماع للجنة المركزية لمدارسة الوضع الجديد وإتخاذ التدابير والإجراءات المقتضية لمواجهته وتقرّر أولاً تقديم مذكرة لعبدالكريم قاسم[١]. وقد تمّت صياغتها ورفعت اليه في نهاية شهر تموز من السنة عينها وكان القصد منها إزالة التوتر والخلاف القائم بين قاسم والحزب وفي سبيل إعادة الهدوء والإستقرار في المنطقة والحيلولة دون تردّي الموقف. الاّ ان قاسماً لم يعرها أي إهتمام وازداد الوضع سوءً واتسعت شقة الخلاف والجفوة بين الپارتي والبارزاني من جهة، وبين قاسم من جهة أخرى.

أمّا القرار الثاني الذي اتخذ في الإجتماع. فهو ما يتعلق بالخطوة الثانية - أي عند عدم استجابة قاسم للمذكرة. فقد كانت الآراء مجمعة على ان الوقت وإن لم يحن بعد للقيام بالثورة الاّ ان الإستعداد لها يجب أن يباشَرَ فيه بلا إبطاء مع التشديد لتكديس المزيد من الأسلحة وتسليح الشعب الكُردي عموماً وتهيئته معنوياً والإلتزام بالمزيد من اليقظة والحذر والإستعداد لمواجهة ايّ هجوم تشنه السلطة في أي موقع من كردستان وبعد إتخاذ هذا القرار أُرسل السيد جلال الطالباني مبعوثاً الى البارزاني لاستحصال موافقته على هذه القرارات وأخْذ التوجيهات منه. وكان يحمل إليه رسالة من ممثله صالح ميران يشرح فيها له مدى إستعداد العشائر لتبنّي القضية وإنضمامهم الى البارزاني[٢].

١- أنظر الملحق رقم (١) قسم الملاحق.
٢- راجع نص الرسالة وصورتها في الملحق رقم (٢) قسم الملاحق.

في ١٢ من تموز ١٩٦١ وصل الطالباني الى بارزان وأُخِذَ الى مصيف (چالي) في جبل شيرين حيث البارزاني، فبسط له ما توصلوا اليه من قرارات مؤكداً إستعداد المكتب السياسي لكل طاريء وكان من رأي البارزاني ان لايُقدِموا على أي شيء بل أنْ يواصلوا إستعدادهم حتى يبلغوا الدرجة الكافية من المقدرة على مواجهة السلطة. وعاد الطالباني الى منطقة السليمانية بهذه التعليمات. إلاّ أنّ الأمور تطورت بصورة سريعة وخرجت عن السيطرة سيّما بعد أن إشتدت الحماسة بالعشائر وتجمّعت في منطقتي بازيان وخَلَكان ولم ينصاعوا لأوامر البارزاني والحزب.

الوضع العشائري

لم يكن هناك موقف موحدٌ. حتى بين أبناء العشيرة الواحدة فقد كان ثمّ إنقسام في الرأي. في أولى مراحل الثورة كان للمصالح القبلية الخاصة دور أظهر وأقوى وهو يغلب على المشاعر القومية ويتقدم المطالب الوطنية. أضف الى هذا ذلك العداء القديم والحزازات القائمة بين هذه العشيرة وتلك، الأمر الذي أدى الى ان ينحاز بعضها الى السلطة عندما يجد العشيرة العدوة منحازة الى الثورة، وهذا الأمر لم يكن وقفاً على عشيرة دون غيرها بل كان العداء والنزاعات القبليّة الموجودة داخل العشيرة الواحدة سبباً في إنقسام حادٍ بين موالٍ للثورة، وبين منحاز الى الحكومة. وهكذا كما برهنت الأحداث فيما بعد ان العشائر الموالية للحكومة أصبحت رأس رمح موجّه لمقاتلي الثورة تتقدم صفوف الجيش العراقي وترشدهم عند التعرض لفصائل البيشمرگه وقد عرف هؤلاء المرتزقة باسم (الجاش) وهو مصطلح مخفف من لفظة (جحش) العربية وقد غدا لفرط إستخدامه من قبل وسائل الإعلام الأجنبية مصطلحاً عالمياً ومرادفاً لتعبيري الخيانة والعمالة. مثلما أصبح مصطلح (پيشمرگه) إسماً عالمياً للمناضلين الشرفاء الذين جنَّدوا أنفسهم للدفاع عن الوطن والجهاد في سبيل حريته. وقد أظهرت جمهرة العشائر التي آمنت بمباديء الثورة وإلتحقت بصفوفها جدية وحميّة وتضحية وإستعداداً للقتال يضاهي ما بَدَرَ من أعضاء الحزب ليصدق فيهم قول المثل السائر «المدفأة أحر من نارها» وقد جرى هذا الإنقلاب الأعظم بعزمهم الصادق على القتال مع إختلاف النوايا والاغراض، ومع انهم ما كانوا يتصورون قطّ بأن أجل الثورة سيمتد الى هذه الفترة الطويلة ولا ان تكون بمثل هذه الشدّة والعنف.

بعض العشائر إلتحق بالثورة بسبب سوء تطبيق قانون الاصلاح الزراعي وبعضها بسبب قانون ضريبة الأرض وبعضها كان ينتظر أن يستجيب قاسم لمطاليبه التافهة بعد وقت قصير. أما القسم الآخر فقد كان صادق العقيدة مخلصاً في نياته مستعداً للتضحية والبذل بغير حدودٍ وكثيراً ما كنت تسمع أحاديث تنطلق من أفواه هذه العشائر الموالية وهي تخوض غمرات القتال من أمثال: هؤلاء البارزانيون قاموا بأداء القسط الأوفى من النضال في سبيل قضية كردستان وأدَّوا أكثر من واجبهم وعلينا الآن أن نخفّ لنحمل بعض العبء عنهم.

لم يحقق الپارتي سيطرة ما على العشائر. كانت مجرد تجمعات لاتنظمها قيادة آمرة موحدة، يقودها رؤساؤهم فحسب ولأسباب شتىّ كما قلنا لا علاقة لها بأهداف قومية. كانوا يدَّعون بأنهم يعملون تحت قيادة البارزاني والپارتي غير أن ذلك كان مخالفاً للواقع. وتعليمات البارزاني للطالباني كانت واضحة بما فيه الكفاية، وهي ان يجتنبوا الإشتباك مع السلطة أو أن يعلنوها ثورة بل يكتفون بالإستعداد والتأهب والدفاع إن بادأتهم الحكومة بالهجوم. ثم بدأت فردية رؤساء العشائر وإستقلالهم في الرأي يعملان حثيثاً في شق الصفوف. علماً بأن قوتهم العددية كانت تفوق القوات التي تخضع للحزب بمراحل.

إضراب السادس من أيلول

قررّ الپارتي أن يكون هذا اليوم يوم إضراب عام في سائر أنحاء كردستان. وإستجاب الشعب الكُردي للنداء قاطبةً وكان إضراباً عاماً شاملاً لم تَرَ مثله كردستان من قبل. الغاية منه أن يكون وسيلة ردعٍ لقاسم عن إرسال قواته الى كردستان إذ يتبيّن مدى النفوذ الذي يملكه الحزب بين الجماهير ووقوفها كتلة متراصة وراءه ممتثلة بأوامره.

دور الشرطة الكُردية

بلغ التنظيم الحزبي في سلك الشرطة العراقية أقصى درجة من القوة والإحكام. كانت الأغلبية منهم في كردستان من المواطنين وقد انضموا الى الحزب بدافع العقيدة والإيمان بمبادئه وأهدافه.

ما جاء شهر آب حتّى تمّ إتصال معظم مخافر الشرطة في كردستان بالپارتي وبادر أفرادها الى الإلتحاق بصفوف الثورة مع أسلحتهم وعتادهم وكانت منهم نواة الجيش الكُردستاني في بداية الثورة. وأظهروا بطولات خارقة وتميزوا بصفات قتالية عالية رفعت الكثير منهم الى مناصب قيادية لنجد بينهم أمراء سرايا (لق) وأمراء أفواج (بتاليون) وصعدت الثورة ببعضهم الى مرتبة آمرية لواء (هيز)[٣] كانت شجاعتهم ومآثرهم القتالية مضرب المثل. واستحقوا بجدارة شكر الوطن. ان موقف الشرطة الكُردية في ثورة أيلول، ونقولها بحقٍ، كان مركزياً وعلى أقصى درجة من الخطورة والأهمية. والشعب الكُردي في رأيي مدين لهم بالشكر والتقدير.

قيام الثورة (١١ أيلول ١٩٦١)

إتفقت الآراء على ان الحادي عشر من شهر أيلول ١٩٦١ كان بداية الثورة الكبرى. ففي هذا اليوم بادرت السلطة بقصف تجمعات الثوار من الجوّ في (دَرْبَنْد بازيان) ووادي (دولي خَلَكان). ثم شرعت القوات الأرضية التي جردها قاسم بهجوم كاسح كان الغرض منه فتح الطريق بين مدينتي كركوك والسليمانية. إلاّ أنّ قوات الثوار لم تُبدِ مقاومةً أو تعرضاً يُذكر لحركة الجيش. فقد تفرقت تلك التجمعات المسلحة العشائرية وتمّ فتح الطريق دون مجهودٍ يذكر.

سبق القصفَ الجويَّ المار ذكره أن توجّه متصرف (محافظ) السليمانية الى وادي (دولي خَلَكان) واجتمع برؤساء العشائر لغرض معرفة ما يريدون. فواجه مطالب وشكاوى شتّى لاتمتّ الى أهداف قومية واضحة بصلة. لا شيء يذكر عن حقوق مهضومة للشعب الكُردي عموماً. فوعد بإيصال شكاواهم الى عبدالكريم قاسم وطمأنهم بالاستجابة وبأنْ ليس في تلك المطالب ما يتعذّر تلبيتُه ولا فيها ما يستعصي على الحل. وهنا برز عمر مصطفى (دبابه) وكان بين المجتمعين ليعرض على المحافظ مطالب الحزب القومية. وأعطاه نسخة من مذكرة الپارتي المقدمة لعبدالكريم قاسم المؤرخة في ٣٠ من شهر تموز ١٩٦١ فردَّ المحافظ على (عمر مصطفى) زاجراً بقوله "إنّي لم آت لمقابلتك وإنما جئت للقاء رؤساء العشائر وقد شرحوا لي مطالبهم وشكاواهم

٣- لق: هي التسمية الكردية للسرية، وبتاليون للفوج، وهيز للواء.

واني غير مستعد لسماعك". ثم ترك الإجتماع عائداً.

من آثار زيارة المحافظ ظهر واضحاً أن زمام الأمور أفلتَ ولم تعد هناك جهة قيادية معينة تستطيع ان تبتّ في أمر إيقاف المواجهة المسلحة وتبيّن أن ذلك بات مفهوماً من الحكومة فأرسلت طائراتها الميگ في اليوم التالي وعلى غير إنتظار أو توقع وقصفت الموقعَيْن المذكورَيْن ثم بدأت حركة الجيش الأرضية بالتقدم نحو السليمانية دون مقاومة. ولم يعترضها أي من المجموعات العشائرية بل بادر الجميع بالإنسحاب عدا مجموعة منهم بقيادة كويخا حَمَه تَلان والذي سقط شهيداً في ذلك اليوم. بل عبر قسمٌ منهم الحدود ولجأ الى إيران وهو في أسوأ حال لايدري ما يفعل وصار كلّ فرد فيهم يفكّر في نجاته وتدبّر أمر الخلاص من المأزق. وترددوا وحاروا بين العودة وإعلان الطاعة والولاء لقاسم، وبين البقاء في إيران وطلب اللجوء في حين ذهب جلال الى چَمي ريزان وظلّ مختفياً بمساعدة عزيز شيخ يوسف. وإختفى عمر دبابه في منطقة بيتوين وپشدَر وآكو.

في منطقة أربيل رأى المقاتلون الحزبيون (الپيشمرگه) أن ينتقلوا الى جبل (سَفين) بعد أن بلغهم ما حصل في منطقة السليمانية، كانوا جميعاً بقيادة محمود كاواني وحميد كاواني ومرشد كاواني ورسول فقي گرُوتَبِي وميركه خَيلاني (وهو رئيس عشيرة) وقد أنيطت المسؤولية الحزبية للمجموعة بشمس الدين المفتي المحامي ومعاونه خورشيد شيره.

وفي دهوك زحفت القوات الحزبية والشعبية على زاخو وتمّ تحريرها إلاّ أنّها لم تبقَ بيد الثوار طويلاً فقد انسحبوا منها فإستعادَتْها القوات الحكومية. وفي دهوك أسوةً بما حصل في السليمانية تفرقت القوات العشائرية بإستثناء القليل من القوات المنظمة حزبياً فهذه لاذت بشعاب الجبال المتاخمة. ونذكر منهم جميل سور بامَرني وحسن مراد بامَرني وأحمد شانه وفارس كورَماركي وأسرة حاجي صادق برو من رؤساء گلي، وعلي هالو وآخرين. في ذلك الحين كان (علي العسكري) مسؤول الفرع الأول للحزب وقد إلتحق بهؤلاء في الجبال. هذه الهزائم في شتّى أنحاء كردستان كانت مؤقتة.

الوقعة الكبرى في بارزان

في السادس عشر من أيلول - بعد قيام الثورة بخمسة أيام أرسل عبدالكريم قاسم قاصفاته فألقت بقنابلها على قرية بارزان بالذات وبعض القرى المجاورة في المنطقة. (منها قرية ريزان ومصيف بَبانيا في جبل شيرين). وقامت بالمهمة أربع طائرات من طراز ميگ ١٥ و١٧، في ذلك الوقت كان منزلنا في المصيف بسفح جبل شيرين المشرف على قرية بارزان. كانت الطائرات تأتي بموجات متعاقبة تواصلت حتى عصر ذلك اليوم وألقت ايضاً قنابل حريق على تلك المواضع وعلى قرى أخرى فشبّت حرائق جرّاها وتواصلت الغارات الجوية على المنطقة سبعة أيام متتالية. وفي إعتقادي انه لم تنجُ من هذا القصف العشوائي قريةٌ واحدة في منطقة بارزان إلاّ أن الخسائر البشرية نسبة الى زخم وشدة تلك الغارات كانت لحسن الحظ قليلة. كنا نتوقع أن يكون بيتنا هدفاً دائماً للقصف الجويّ فلم يكن ثَمّ حيلة لآل بيتنا من ترك المنازل في الصباح الباكر والتفرق في أنحاء الجبال. اذكر جيداً عندما استهدفت الطائرات منزلنا هناك كنتُ مع الشهيد ميرزا آغا رشو ميرگەسوري. قال لي فلنذهب الى خيمة الوالد (البارزاني) لنأخذ حافظة أوراق تعود له خشية تلفها فأسرعنا اليها فاذا بالطائرات تبرز لنا، استنقذتُ الحافظة وأسرعتُ خارجاً وما هي إلاّ لحظة حتى أصيبت الخيمة بصاروخ ثم بصلية رشاش فشبت النار فيها وأتت عليها. كانت الإصابة قريبة جداً بحيث تصور الجميع بأننا صرنا في عداد الأموات. لكنها يد العناية الإلهية التي شاءت أنْ نَسلَم دون أن نصاب بخدش.

الزحف على بارزان

بالنكسة التي مُنيت بها الثورة. لم يعد هناك قوة تواجه الجيش العراقي وقام النظام بتحشيد قوة كبيرة من (الجاش) والوحدات النظامية وسيَّرها لإحتلال بارزان بهجوم واسع النطاق يتمّ على محورين، محور عقره- سَري آكري- جبل پيرس- ثم بارزان. ومحور رواندز- ميرگەسور- بارزان. وعلى الجبهتين لقي الرتلان مقاومة عنيفة من مقاتلي بارزان. لاسيّما في جبهة آكري- پيرس وأشرف البارزاني على تلك العمليات بنفسه. وكان الضغط شديداً. وصمد البارزانيون وهم في خطوطهم الدفاعية. لم يكن

في حوزة المقاتلين آنذاك أجهزة إتصال حديثة (لاسلكية) فبدت السيطرة صعبة للغاية على الجبهة الواسعة.

ففي موقع وادي نَهله وهو يتوسط جَبَلَيْ پيرس وسَري آكري كادت القوات التي كانت تحت إمرة البارزاني شخصياً تواجه كارثة بسبب افتقار القوات الى أجهزة إتصالات لاسلكية كما قلتُ، وحوصر هو مع عشرين من المقاتلين حصاراً محكماً إذ ألفى نفسه واقعاً بين الجاش وبين القوات النظامية وكانت نجاته أشبه بمعجزة، وأستشهد قائد حرسه الخاص الشجاع (ميرزا آغا رَشو شيرواني).

بقيت جبهة بارزان وحدها ميداناً للعمليات العسكرية في حين خيّم الهدوء على سائر أنحاء كردستان. وبسبب المقاومة بدا من البديهي أن المقاتلين البارزانيين لايستطيعون وحدهم النهوض بأعباء القتال الى ماشاء الله، بمواردهم المحدودة من الأرزاق والعتاد وعناصر الإدامة الأخرى. إن الخط الدفاعي الذي أقامه البارزاني في جبل پيرس كان من المناعة بحيث أعجز الجيش عنه وفشل في إقتحامه ومَنَعَه من التقدم. وفي قاطع ميرگەسور المواجه لزحف الرتل الثاني كان محمد أمين ميرخان ميرگەسوري في القيادة وقد نجح هو الآخر في وقف زحف الجيش العراقي على حدود مَزني.

وفي بغداد عقد عبدالكريم قاسم مؤتمره الصحفي المعروف في الثالث والعشرين من أيلول ١٩٦١ معلناً نهاية الثورة أو (التمرد) كما وصفه.

وصول عمر مصطفى (دبابه) وعلي عبدالله الى بارزان

في ٦ من تشرين الأول ١٩٦١ وصل بارزان عضوا المكتب السياسي للحزب (عمر مصطفى دبابه وعلي عبدالله) وكان إجتماعاً هاماً فرضه الوضع فرضاً وغايته التنسيق بين قوات بارزان وبين قوى الپارتي التي بقيت موالية مع سائر العشائر الأخرى التي لم تنسحب من الميدان ولم تلجأ الى إيران.

وقف القتال وبدء الحوار

باءت بالفشل التام محاولات الجيش في جبهتي پيرس وميرگەسور في إختراق خطوط الدفاع والقضاء على المقاومة والوصول الى بارزان كما رسم لها. لكن المقاتلين كانوا يعانون ظروفاً صعبة تزداد سوءً يوماً بعد يوم. وإذ ذاك إرتأى الشيخ أحمد البارزاني بعد تبادل الرأي ودراسة الموقف مع أخيه ملا مصطفى البارزاني أن يُعلن وقف القتال في جبهة بارزان تمهيداً لإجراء حوار مع قاسم. ولكنّ قاسماً الذي راح به الظن الى انه نجح في اخماد انفاس الثورة وبالغرور الذي شاع فيه جراء ما حققته قواته في ميادين أخرى كان يرى انه لم يعد هناك أي وجه لحوار. رغم انه وافق مبدئياً على عرض الشيخ بما وصفه هو (بالدخالة) شريطة أن يقوم بتسليم البارزاني واتباعه المقاتلين من غير قيد أو شرط أو وعد. وكان أن تلقى هذا الجواب من البارزاني:

> "إنّي ما طلبت منك عفواً ولا أنا بحاجة الى عفو وسأدافع وأواصل المقاومة قدر طاقتي فاذا ما إستنفدتُ آخر وسائلي في الدفاع فإنّي سأترك البلاد."

برز إثر ذلك وضع جديد. كان على البارزاني أن يواصل القتال حتى النفس الأخير دون التفكير في إستسلام وأنْ يتدبّر أمر إدامة النضال بصورة ما. وبناءً على ذلك وفي الثامن من شهر تشرين الأول استأذن البارزاني الشيخَ أحمد للخروج الى قرية دوري حيث لبث فيها أياماً ينتظر أتباعه والملتحقين به من أولئك الذين ربطوا مصائرهم بمصيره. فكان منهم حوالي ستمائة بارزاني وزهاء خمسمائة من شتّى أنحاء كردستان.

شخوص الشيخ أحمد البارزاني

الى بغداد

على اثر قرار الشيخ أحمد وقف القتال مع القوات الحكومية، إنسحب الپيشمرگه من قاطع ميرگەسور وانتقلوا الى قريتي پيران وبيدود. أما أولئك الذين اشغلوا قاطع پيرس فقد انسحبوا الى قريتَيْ دوري ولِيرَبير. وطلب عبدالكريم قاسم من الشيخ أحمد ان يشخص الى بغداد لمواجهته وان يجمع العوائل كلها في قريتي بارزان وميرگه ثُمّ دخلت

قوات الجيش العراقي منطقتي ميرگەسور وبارزان. دخلت قوات اللواء الخامس بقيادة العميد (الزعيم) حسن عبود قرية بارزان ودخل ميرگەسور فوج من اللواء الثالث المشاة بقيادة العقيد وهبي وإلتأم شمل أسر شيوخ بارزان ومن بينهم أسرة البارزاني – في قرية ميرگەسور. كان عبدالكريم قاسم قد قرر في أول الأمر إبعاد عوائل الشيوخ برمتها الى منطقة الفرات الأوسط إلاّ أنّه عدل عن رأيه بعد مقابلة الشيخ أحمد.

وقد عدّ عبدالكريم قاسم هذا التدبير نصراً معنوياً وستراتيجياً كبيراً بجعل بارزان منطقة حياد وهدوء ضمنت إبعاد قوات البارزاني عن المنطقة بأسرها وركن الى تعهد الشيخ أحمد بإشاعة الهدوء والإستقرار في المنطقة فقام بسحب الجيش منها. ومن جانب آخر جرى التفاهم بين الشيخ أحمد وأخيه ملا مصطفى أن تبقى هذه المنطقة بعيدة عن العمليات القتالية إن لم تنجح المفاوضات بين السلطة من جهة وبين البارزاني وسائر قيادة الثورة من جهة أخرى. وتمّ الإتفاق على ان لايُشغل الپيشمرگه أي بقعة في المنطقة وان لايكون لديهم أي مقر. وقد تبين بوقت وجيز أن هذا التدبير كان في منتهى الحكمة وذا فائدة جليلة للثورة ولدوامها. لايبرح ذاكرتي قط ما أقدَم عليه العقيد وهبي في ميرگەسور من أعمالٍ لاتمتّ الى مباديء الشرف والخلق الكريم ولن أنسى ما ألحقه بنا من أذى فمن جملة إجراءاته انه ألقى القبض على أخي (لقمان) وأرسله مخفوراً الى بغداد حيث زج هناك في السجن العسكري رقم (١) بمعسكر الرشيد. ويضيق بي المقام عن سرد شتّى المضايقات المتعمدة لسائر عوائل الشيوخ والبارزانيين عموماً.

مخطط بدرالدين علي بالتعاون مع بعض الجاش

بدرالدين علي المعيَّن محافظاً لمحافظة أربيل ما كان في قلبه شيء من العطف والمشاعر الإنسانية. بل كان مجرداً من كل شعور وطني. وإليك ما أقدم عليه:

كانت عوائل القرى المحيطة ببارزان والمجاورة لها. قد تجمعت في ميرگەسور وقرية بارزان وقد أحدقت بها فصائل الجاش ووحدات الجيش. فما كان من بدرالدين علي إلاّ أن راح يؤجج عوامل الثأر ويجتهد في إحياء العداوات القديمة بين هؤلاء الجاش وبين البارزانيين عن طريق تشجيعهم والإغضاء عن إعتداءاتهم وقد هَمَّ بعض الجاش

السورچيين والزيباريين بإيقاد نار الفتنة والإعتداء على البارزانيين إلاّ أن العميد حسن عبود اتخذ موقفاً حازماً وحال بينهم وبين ذلك وأمر بطردهم من المنطقة ومن هنا كان منشأ العداء بين هذا القائد العسكري وبين بدرالدين علي. وحفظ البارزاني لحسن عبود هذه المأثرة فحال بينه وبين المصير الذي بيّته له الحكام البعثيون بعد حكم الإعدام الذي أصدروه بحقّه عندما جاؤوا الى الحكم في الثامن من شباط ١٩٦٣ وحفظ له حياته. لم ينسَ البارزانيون لهذا القائد تلك المأثرة وهم يذكرونها له دوماً.

وفي ميرگەسور أقبلت جموع من جاش الصوفية والهركية وحاولت دخول القرية بموافقة وإغضاء العقيد وهبي وبدرالدين علي واني اذكر جيداً أزيز إطلاقات الجحوش المسموعة وكم ملكَنا من خوفٍ من هجمة هؤلاء واستباحتهم لنا. وهنا أرى لزاماً عليَّ أن اذكر لأسعد شيتنه مأثرة رغم انه كان أحد رؤساء الجحوش على طول الخط في ما بعد. فقد حشد رجاله ووقف سداً يحمينا بوجه المهاجمين قائلاً إستقبِلوا الموت فعلينا ان ندافع عن هذه الأسرة الى آخر قطرة من دمائنا. وواجه العقيد وهبي بقوله "إنْ كان القتال بين الحكومة والبارزانيين فأنا مع الحكومة أمّا اذا كان القتال بين العشائر والبارزانيين فأنا مع البارزانيين". واحرق الجاش قرى تعود لعشيرة دولُومَري وشيرواني وگردي وكانت خالية من أهلها فقد تركوها ولجأوا الى ميرگەسور كما أسلفنا. بينما راح محمد آغا ميرگەسوري يعرض خدماته على العقيد وهبي وتسلم بعض قطع السلاح منه وشرع في قتال الثوار لكنه لاذ بالفرار بمجرد وصول طلائع القوة بقيادة محمد أمين ميرخان.

إذ ذاك كان قد اجتمع للبارزاني في قريتي دوري وليرَبير زهاء ألف مسلح من الپيشمرگه. ووجد الشيخ أحمد أن الخطر على الأسرة البارزانية في ميرگەسور بات أكيداً جراء ذلك التفاهم والإتفاق المبيّت بين الجاش وبين قائد القوة النظامية العقيد وهبي. فلم يَرَ مندوحة من الإتصال بالبارزاني والإستعانة بقواته لدرء الخطر. بعث يشرح له الوضع ويستحثه على التقدم بقواته لإحباط نوايا الجاش وصدّ أي هجوم محتمل لهم. فصدع البارزاني بالأمر وحرّك قواته نحو ميرگەسور ليباغت بها تجمعات الجاش على بعد حوالي كيلومترين شرق القرية ولم يصمد الجاش أمام تعرض البارزاني ولاذوا بالفرار في أول إشتباك وهربت فلولهم لاتلوي بإتجاه طريق سِيدكان وروانذز. وأحكم الپيشمرگه الطوق حول ميرگەسور وحاصروا القوة النظامية. فاسقط في يد

العقيد ولم يجد بُداً من الإستعانة بأولئك الذين كانوا قبل قليل تحت رحمته. فاستنجد بإدريس أخي واستدعاه وكان والأسرة يقيمان في منازل باسفل المنحدر وبالضبط في محلة ئاڤا ژيري وفي بيوت وضعها كَكشار وأقرباؤه بتصرفهم. اما منازل الشيخ أحمد واسرته فكانت على المرتفع حيث مقرات الجيش وكان قصد العقيد بقُصر نظر ورعونة منه أن يجعل من إدريس ومنازل الشيخ القريبة درعاً يحتمي به من هجوم محتمل للپيشمرگه وان يستخدم أعضاء الأسرة بمثابة ستارٍ واقٍ أو كرهائن يأمن بهم الهجوم الذي صوّره له خياله. دون ان يدري بأن الپيشمرگه لايمكن أن يقوموا بأي تحرك مسلح أو مواجهة حيث يوجد الشيخ أحمد.

ما جاء اليوم الخامس عشر من هذا الشهر حتى خلت المنطقة بأسرها من الجاش ولم يبقَ فيها غير القوات النظامية في كل من بارزان وميرگەسور وفق الإتفاق الذي تم بين عبدالكريم قاسم وبين الشيخ أحمد على أن تكون مرابطتها هناك مؤقتة. وفي نهاية شهر تشرين الثاني ١٩٦١ أذن لعوائلنا بالعودة الى بارزان وسُمح لأسرة البارزاني بالسكن في قرية بيدارون الواقعة في متنصف الطريق بين بارزان وميرگەسور. وقد استضافنا اهل القرية وبذلوا كل ما في وسعهم لتأمين راحتنا حتى انهم نزلوا عن بيوتهم لنا. اننا سنبقى مدينين لهم بحسن صنيعهم جزاهم الله خيراً.

عفو من عبدالكريم قاسم

تبيّن لقاسم بعد المواجهة القصيرة التي حصلت في أنحاء ميرگەسور ضعف قوات الجاش وإفتقارهم الى المعنويات كما أدرك الصعوبات التي تكتنف قوات الجيش في أيّ مواجهة محتملة وفي قتال طويل الأمد. ولعله كان في عين الوقت يتصور بأنّ ملا مصطفى مهيّأ لقبول أي قرار بالعفو شريطة ألاّ يحطّ ذلك من كرامته. فبادر يتصل بالشيخ أحمد طالباً منه أن يرسل لملا مصطفى من يخبره بأنّ قاسماً على إستعداد لإصدار عفو عنه شريطة أن لايبقى في منطقة بارزان وأنه يفضّل بقاؤه في العاصمة بغداد. وأرجّح أنه كان على إعتقاد جازم أن ملا مصطفى سيثب الى قبول ذلك العرض بلا تردد وبهذا الإعتقاد اتخذ الأهبة وكأنّ الأمر أصبح واقعاً فأوعز لآمر اللواء الثالث في رواندز بأنْ يتوجّه الى ميرگەسور بنفسه ليستقبل ملا مصطفى ويصحبه الى بغداد.

وبعث الشيخ أحمد بإبنه عثمان ومحمد آغا ميرگەسوري الى ملا مصطفى وكان يعسكر في قريتَيْ بِيبِي وكاني بوت وراء جبل شيرين وهو يتهيأ للإنسحاب من المنطقة وسلَّماه رسالة عبدالكريم قاسم. وكان رأي الشيخ أن لايستجيب لهذه الدعوة ويسير قدماً في الخط الذي جرى عليه الإتفاق بينهما متوكلاً على الله. وكان ردّ البارزاني على عروض عبدالكريم قاسم:

"أنا لست مجرماً لأطلب العفو منك وعليك انت أن تطلب العفو عما أجرمت بحق الشعب الكُردي. واني بحول الله سأريك من هو المجرم ومَنْ هو الأحوج الى عفو شعبي".

إجتماع في قرية سيدان

بلغت أنباء للسلطات بأن البارزاني أصيب بجرح بليغ وأنّ هناك خطراً على حياته وضخمت الشائعات وبولغ فيها الى الحد الذي قطع بأمر وفاته. ربما كان القصد من إذاعة أمثال هذه الأخبار الملفقة التأثير على معنويات الشعب الكُردي وهو ما حصل فعلاً. واذكر بالمناسبة أن جندياً كردياً من مرتبات القوة النظامية في ميرگەسور واجهني في إحدى الدكاكين وعَرَفني. فدنا مني وحَمَلني على أن اقسم له يميناً بأن أخبره بالحقيقة هل أصيب ملا مصطفى بجرح حقاً؟ فأجبت هذه أكذوبة والبارزاني معافى لم يصب بخدش. ما أن سمع هذا حتى عمل قفزة في الهواء من فرط فرحه وهتف "حمداً لله" ثم أسرع يعدو قائلاً سأذهب لأبشّر إخواني ورفاقي بهذا النبأ السار[٤].

في الوقت الذي راحت الجهات الحكومية تروِّج لهذه الشائعة كان ملا مصطفى في طريقه الى سيدان وقد وصلها في العشرين من تشرين الأول. وأمر بأنْ يجتمع سائر فصائل الپيشمرگه في تلك القرية وقد بلغ عددهم حوالي الألف كما أسلفنا.

استهل ملا مصطفى الإجتماع بإلقاء كلمة قال فيها:

"أيها الإخوان أنا شخصياً لا أعلم ماذا يخبيء لي المستقبل. على أنّي سأواصل المقاومة بأقصى ما أمكنني ولن أُبارح كردستان. وفي حالة إستنفاد آخر مجهودي وعندما لم يعد في مقدوري المواصلة فسأتوجه الى

٤- تشاء الصدف أن أقف مؤخراً على مصير هذا الجندي الذي إلتحق في حينه بالثورة. وإسمه فؤاد محمود جمعة وهو الآن لاجيء في ألمانيا.

سورية. ها إنّي كما ترون إخترتُ الموت ومن يختر الموت فليبقَ معي. وسأسير في هذا الطريق قُدُماً وليس معي غير ما أحمله من سلاح وعتاد ودراهم قليلة وهذا كل ما أملك. أولئك الذين يتحدَّون الخوف والجوع والبرد فليبقوا. ومن لايتوقع مني شيئاً فليبقَ لأنني مثلكم لا أملك مالاً ولا سلاحاً. وأمّا أولئك الذين لا طاقة لهم بإحتمال ما أوضحته من المتاعب فليذهب الى حال سبيله وعند الله ثوابه لفرط ما تحمّل وتعب في سبيله. واريد أن أضيف الى هذا قولي نحن أمة مسلمة كردية مظلومة وجب علينا الدفاع عن حقوقنا وكرامتنا وسيكون من دواعي فخرنا وشرفنا أن نضحي بأرواحنا فداء لحرية شعبنا."

ثم إلتفت الى حسين جرجيس پيندرويي وهو من رفاقه الذين صحبوه الى المنفى في الإتحاد السوفييتي وكان قد أناف على السبعين، وقال له:

"أي حسين، لقد تقدمت بك السن فإذهب الى بيتك واسترح وليَنُبْ عنك أولادك".

أجاب حسين:

"ملا مصطفى إني مع هؤلاء ولن أتحرك من موضعي ولن أعود الى بيتي. اما اذا رغبت انت أن تعود الى منزلك فإذهب رافقتك السلامة".

كان عدد الپيشمرگه البارزانيين يناهز الستمائة والقسم الآخر وهو خمسمائة وهم من عشائر نيروَيي وگوران وبَرواري ژيري وآميدي. كلهم قرروا أن يكونوا مع البارزاني حتى النفس الأخير وان يبقوا تحت قيادته ويلتزموا بأوامره.

الحركة نحو منطقة نيروَه

الأمانة تقضي علينا بتسجيل الموقف البطولي الرائع الذي وقفته عشيرة نيروَيي الى جانب البارزاني والثورة في ذلك اليوم العصيب فقد هبَّتْ خفافاً وثقالاً في ذلك اليوم العصيب لإعلان ولائها وإنضمام رجالها بسلاحهم ومواردهم الى جموع الپيشمرگه وربط مصيرهم بمصير أولئك الذين آثروا مشاركة البارزاني في النضال. وسقط منهم عدد كبير في ساحته شهداء أبراراً ومنهم القائد المغوار (نظمي نيروَيي) الذي أستشهد

في ٢٣ تشرين الثاني ١٩٦١ في معركة (چوم جهان).

وهناك آخرون من عشائر گوران ومزوري ژيري وبَرواري ژيري وآميدي إلتحقوا بالبارزاني في قرية سيدان ورافقوه الى منطقة نيروه. وبقى بعضهم حتى النهاية بينما ترك بعضهم صفوف الثورة وإلتحق بقوات الحكومة في المراحل الأخيرة.

يسجل تاريخ الثورة موقفاً رائعاً للنيروَيين بما أظهروه من تفانٍ وإخلاص وبمقدار البذل والتضحية في الدفاع عن أرض الوطن والقضية التحررية وقد كان من الطبيعي أن تتحرك قوات البارزاني الى مواقع هذه العشيرة المخلصة، وقد وصلتها في ٢١ من تشرين الأول ١٩٦١ وفيها جرى تنظيم قيادات القوات الثورية بالشكل التالي:

١- محمد أمين ميرخان على رأس قوة قوامها مائتان وخمسون من الپيشمرگه.

٢- حاجي بيروخي على رأس قوة مماثلة عددياً.

٣- حسو ميرخان دولُومَري على رأس قوة مماثلة عددياً.

٤- عيسى سوار على رأس قوة مماثلة عددياً.

ونصب لكل واحد من هؤلاء معاونون في مناطق أخرى واحتفظ البارزاني (بأسعد خوشوي) معاوناً شخصياً إضافة الى آخرين. وأفرزت قوة حماية للبارزاني بقيادة عُزَير محمد دولُومَري.

ونشرت الأوامر والتوصيات التالية على الپيشمرگه:

١- إجتناب دخول القرى بأيٍّ ذريعةٍ كانت خشية تعرضها للقصف الجوي.

٢- يمنع منعاً باتاً إغتصاب أي شيء أو إنتزاعه بالقوة من أهالي القرى.

٣- إطاعة الأوامر الصادرة من قيادتهم دون إعتراض أو تردد.

٤- عدم تبديد العتاد من غير طائل والإقتصاد التام بالذخيرة.

٥- إتخاذ الإحتياطات التامة من القصف المدفعي والجوي.

٦- الحرص على إختيار نقاط ضعف في العدو ومن ثم مهاجمته فيها.

٧- ممنوع قتل الأسير أو إيذاؤه أو إهانته باي شكلٍ كان.

٨- ضرورة التعاون المتبادل بين مجموع القوات والمبادرة الى مساعدة قوة لقوة أخرى

مشتبكة في قتال. ومن الضروري أن يلجأ الى أسلوب حرب الأنصار بمجموعات صغيرة منتشرة بهدف تقليل حجم الخسائر الى أدنى حد ممكن.

كانت هناك تعليمات أخرى غيرها وما ذكرته أهمها.

نحو عشيرة بَرواري بالا

في يوم ٢٤ تشرين الأول ١٩٦١. عبرت قوات البيشمرگه نهر الزاب الكبير وبلغت قرية آلوكه. ثم انتقلت الى تَرْوانش وسَرزيري وكان ثم (محسن بگ البَرواري) مع جاشه في كاني ماسي. فاعترض سبيل الرتل مع مجموعة من الشرطة العراقية رفضت السماح للقوات بالمرور رغم الجهود المبذولة لإقناعها بذلك. فلم يكن ثَمّ بُدٌّ من شق الطريق عنوةً بقوة السلاح وما هي إلاّ لحظة حتى لاذت مفارز الشرطة والجاش بالفرار ولم يكن لها من سبيل إلاّ أن تجتاز الحدود الى تركيا حيث كان طريق العمادية مغلقاً. كذلك طريق بيگوڤا الذي كان يمسكه فصائل من البيشمرگه غير تلك التي إلتحقت بالبارزاني وقد إرتفعت معنوياتهم بوصول قوات البارزاني. في ذلك الحين كان (علي العسكري) مسؤول الفرع الأول للپارتي فشخص الى البارزاني ليجد عنده الأمن من ملاحقة السلطة التي كانت تجدّ في إلقاء القبض عليه. بقي يردد دائماً في حينه قائلاً انه ولأول مرة بعد أشهر عسيرة من المطاردة والإختفاء والتشرد يجد الأمان ويستطيع أن يغمض عينه مطمئناً في مقر البارزاني. كما علمنا أن المواطنين الكُرد في قرية داشتانيه التركية قد إستقبلوا محسن بَرواري وجاشه بالصفير والسخرية والتنديد فضاق بهم الأمر وأُرغموا على طلب الحماية من الأتراك وإستسلموا لهم فقامت السلطات التركية بدورها بإعادتهم الى العراق.

استشهد خلال هذه العمليات أربعة پيشمرگه وكلهم من النيروَين أما خسائر الجاش فكانت عشرة من القتلى وعدداً من الأسرى وإرتفعت معنويات البيشمرگه بهذا الفوز وبالأصداء التي خلّفها في أرجاء كردستان واعطى زخماً للثورة ولبقية الفصائل وأعضاء الحزب الذين انتشروا في الجبال ولاذوا بشعابها وبدأت بعد هذا أعداد كبيرة من المقاتلين تنضم الى جيش الثورة يومياً – وما أشرف هذا الشهر، تشرين الأول، على ختامه إلاّ وكان للثورة من البيشمرگه ما يناهز الألفين.